

2018 |

# هكذا بدأ كل شيء

تاريخ لعشرين عام من عمل المؤسسة



## محببة خالصة لذكري

عبد المحسن القَطَّان (1929-2017)

وليلي مقدادي القَطَّان (1934-2015)

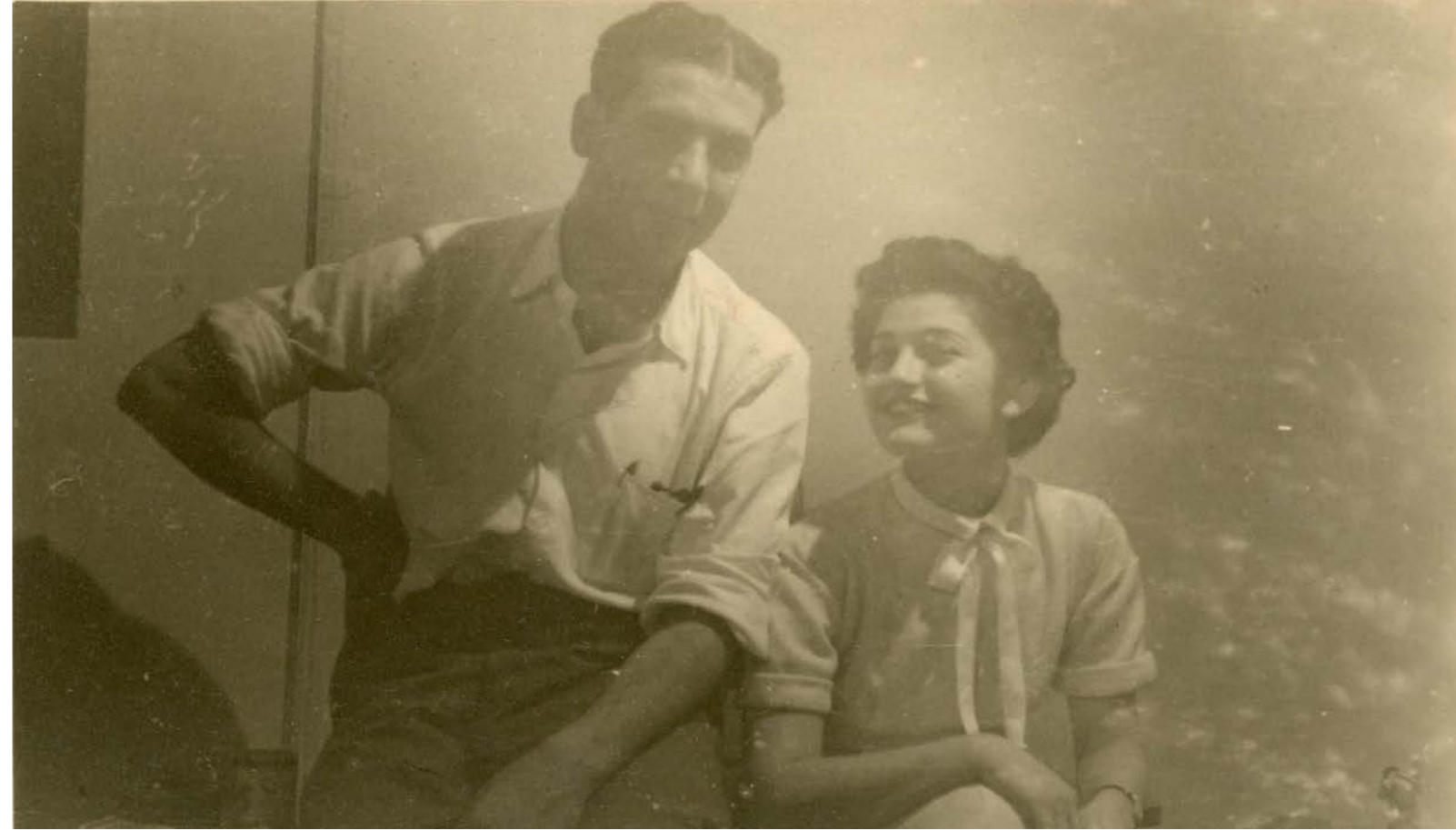
مؤسسة عبد المحسن القطان في عامها العشرين .. التحديات والفرص

في أحد الأيام أوائل التسعينيات- كيف يمكن للعالم العربي الذي يملك التاريخ والثقافة والموارد الطبيعية، والنسبة الكبيرة من المتعلمين، ويقع في قلب العالم، أن يستسلم للفوضى والدمار! أعتقد أننا بحاجة إلى تغيير ثقافي عميق وثورة في القيم والأخلاق". هذه المقولة البسيطة التي تحمل في طياتها كل مشاعر الإحباط والغضب والنقد الذاتي، وضعت الحجر الأساس لمؤسسة عبد المحسن القطان، الإنجاز الذي افتخر به والذي أكثر من كل إنجازاته الأخرى.

ولطالما تحدث بإعجاب شديد عن فاعلي الخير الرياديين، وبخاصة جون هارفارد؛ الفسّ الإنكليزي الذي منح الجامعة المعروفة عالمياً اسمه، دون أن نطأ قدماه أرض الولايات المتحدة. في بداية التسعينيات وجد أبي اللحظة مواتية ليفوم هو نفسه بإطلاق مؤسسة مماثلة في وطنه المحتلّ. كان في منتصف ستينياته، مدعوماً بنجاحاته الكبيرة في مجال المقاولات، وقد أصبح قادراً على تخصيص موارده الشخصية لتأسيس مشروع خيري، يحاول من خلاله معالجة المأزق الثقافي والأخلاقي الذي يؤرّقه. وجاء رفع بعض القيود المفروضة على السفر إلى فلسطين بعد توقيع اتفاقية أوسلو للسلام في العام 1994، ليمنحه فرصة العودة إلى وطنه بشكل فعلي، والبدء بتنفيذ أحلامه كما كان يطمح.

هناك مفارقة في مؤسسة عبد المحسن القَطَّان بين الرغبة في اتباع نهج تقدمي، وبين الحاجة إلى ملاءمة الظروف السياسية القمعية، والاجتماعية المحافظة التي تحيط بها. فهي بطبيعتها مخالفة، لكنها براغماتية بحكم ظروف عملها. وربما يعكس هذا التناقض شخصية مؤسسها، والذي عبد المحسن القَطَّان، وتجربته في المنفى والتهجير القسري. عايش أبي حقبة الصراع المناهض للاستعمار والمعادي للصهيونية، التي كانت مشبّعة بمثاليات الثورات الاجتماعية، التي غمرت العالم العربي بعد الاستقلال، كما أجبرته ظروف عائلته المحدودة، أعقاب النكبة، على التخلي عن دراساته في العلوم السياسية لصالح إدارة الأعمال. ثم اضطر إلى البحث عن عمل في الكويت، البلد الذي احتضنته، ليصبح بعد ذلك رجل أعمال ناجحاً. لكن هذا لم يؤثر على التزامه الشديد بكفاح شعبه للحفاظ على ثقافته وهويته ونضاله من أجل تحرير وطنه. لقد تطلبت منه هذه الظروف التحلي بالشجاعة والتصميم، إضافةً إلى المرونة واحتضانه ثم تجاوزه التناقضات -الفكر التقدمي مقابل البراغماتية المحافظة، محاربة التخلف مقابل حب التراث، نهج المشاركة السياسية والاجتماعية مقابل العمل التجاري، الأمل مقابل اليأس- هو ما سيميز مسار حياته كلها.

في أعقاب حرب الخليج الأولى، علّق على أحد هذه التناقضات المستعصية التي عصفت به طوال العقود الثلاثة الأخيرة من حياته: "أنا لا أفهم"-قال



Leila Miqudadi and Abdel Mohsin Al Qattan at the beginning of their marriage, circa 1954  
ليلى المقدادي وعبد المحسن القطان في بداية حياتهما الزوجية بحدود العام ١٩٥٤

انشغلنا، منذ البداية، بمحاولة التأثير على الجيل الجديد، بالتركيز على الأطفال والشباب. وعلى الرغم من ذلك، فإن وراء هذا المجال الذي يبدو وكأنه خالي من التعقيدات، ظهر واقع بعيد جداً عن البساطة، حيث إرث من القمع الوحشي من الانتفاضة الأولى (1987-1993)، وحيث الكثير من الأطفال تعرضوا للقتل والإصابة والاعتقال، من جيش الاحتلال، في الوقت الذي تم وسمهم بشعارات بطولية من قبل أبناء شعبهم، تحت شعار "أطفال الحجارة"، دون الانتباه للصدمة التي يمكن أن يسببها هذا الخليط من العنف وأوهام النصر. كذلك عانى جيل كامل من الطلاب والطالبات من انقطاعات التعليم المتواترة في لبنان بسبب الحرب الأهلية في الفترة ما بين (1975-1991)، وكذلك في الأراضي المحتلة بسبب الإغلاق المتكرر للمدارس الذي فرضه جيش الاحتلال خلال الانتفاضة الأولى (1987-1993). وهنا يمكن الإشارة إلى أنه وبعد منتصف التسعينيات، فقدت أسطورة الفلستيني المتعلم، التي كانت منتشرة في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات، مصداقيتها.

فضلاً عن ذلك، كان ولا يزال أحد أهدافنا الأساسية، أن نكون مؤسسة وطنية تخدم جميع الفلستينيين في أي مكان وجدوا فيه، معترفين بأهمية الشتات والتراث المشترك بين فلسطين والعالم العربي، والتأثير الهائل للتبادل الثقافي بين الفلستينيين والثقافات والشعوب الأخرى. لكننا أردنا في الوقت نفسه أن نحافظ على كوننا مؤسسة مبتكرة ونقدية، "محايدة" سياسياً، ولكنها تقدّمية فكرياً، وهذه ليست مهمة سهلة، حتى في الظروف العادية.

كبرت طموحاتنا، أحياناً بوتيرة سريعة. كنا مدركين أن قطاعي الثقافة والتعليم منحا فلسطين أحد أهم سفرائها في العالم، وأصبح كثيرون منهم رؤاداً في ميادين عملهم عربياً ودولياً. كذلك كنا بحاجة إلى خلق أدوات تُمكن أجيال الفلستينيين المهاجرين، المشتتين في أنحاء العالم، من التواصل فيما بينهم، من أجل تعزيز شعورهم بالتماسك والانتماء الوطني، وجمع الفلستينيين في الداخل والخارج، للتفكير والتعلم والاحتفاء بما يشتركون به. والأهم من كل ذلك، أننا كنا مؤمنين بقدرة الثقافة والتعليم على خلق أدوات لتحرر الفرد، وتمكين النساء والأطفال والمجتمع ككلّ. وطبعاً لا يمكن لهذا أن يتحقّق إلا باتّباع نهج تقدمي في التعليم والتربية.

لكن الثمانينيات وبداية التسعينيات جاءت لتعمق التحديات التي علينا مواجهتها. فلم يكن من السهل تجاهل تضاعف نفوذ الإسلام السياسي في العالم العربي. في فلسطين، أيضاً، بدأت جماعة الإخوان المسلمين كحركة غير مسلحة وهامشية، مع توجهات متواضعة للمواجهة مع قوات الاحتلال الإسرائيلي. لكن، خلال الانتفاضة الأولى، ظهر جيلٌ ثانٍ من الإسلاميين أكثر تمرداً ونباتاً، سرعان ما فرض نفسه على الحياة الثقافية والسياسية الفلسطينية، وعلى قطاعات واسعة من المجتمع، وملأ الفجوات التي خلّفها الحركات العلمانية القومية، التي فقدت مكانتها مع الزمن.

إذاً، كان علينا أن نطرح على أنفسنا السؤال التالي: ما هي المؤسسة الوطنية العلمانية غير الطائفية، القادرة على مواجهة مجتمع يتحرك باتجاه أيديولوجي معاكس لها؟ في البداية، وقرت أوسلو راحة مؤقتة للصراع الأيديولوجي الذي كان يلوح في الأفق، والذي سرعان ما أفجّع فلسطين. ولكن هذا الصراع لم

يُحسم بأوسلو، على العكس، لقد استمرّ الانقسام بين حركتي حماس وفتح، وظهرت الحروب الأهلية الدموية في المنطقة لاحقاً. ولا شك أن استمرار التباين العميق بين هاتين الرؤيتين، المتناقضتين في الوطن العربي كما في فلسطين، دون إيجاد إطار مناسب للتعايش أو تأسيس لعقد سياسي واجتماعي يلائم جميع المواطنين ويحفظ حقوقهم، سيُقيه بعيداً جداً عن ابتكار مشروعه المدني التقدمي الشامل.

ربما كان التفكير بقدرتنا على معالجة قضايا كهذه ساذجاً وواهماً، فكيف لنا أن نحاول حلحلة هذه المصاعب والتحديات سوى بشكل سطحي؟ لكن حماس الأصدقاء والزملاء، والجمهور عاقّة، وتشجيعهم، ملدّناً بالثقة للمضي قدماً بغض النظر عن المعيقات. وقد ساعدتنا عوامل عدة في إقناع الآخرين بل وفي إلهامهم، منها تسخير مواردنا المالية الخاصة من أجل الحفاظ على استقلالية المؤسسة (مؤلت المؤسسة بالكامل من قبل العائلة في السنوات العشر الأولى على تأسيسها)؛ وقبول التبرعات الأجنبية فقط إذا كانت غير مشروطة لتوسيع نطاق العمل، في الوقت الذي تنازلت فيه العديد من المؤسسات المحلية وقبلت بالمساومة؛ وتركيزنا على الأطفال والمعلمين والفنانين الشباب؛ ورعايتنا للمواهب التي طالما تم إهمالها - كل هذه العوامل كانت سبباً في كسب ثقة الجمهور المحيط بنا.

لكن، ما أن بدأنا بالعمل، حتى ظهرت تحديات جديدة أفرزها انطلاق الانتفاضة الثانية في أواخر صيف العام 2000، تلتها سنوات من العنف والتقسيمات الجغرافيّة والحواجز وإعاقاة الحركة والتردّي الاقتصادي والإدلال الجماعي الذي فرضه الاحتلال الإسرائيلي، وتفاقم معه فشلنا السياسي والاجتماعي.

خلال الثماني عشرة سنّة الماضية، نما عند العديد من الشباب الفلسطينيين

يأس وخيبة أمل هائلة من كل ما يحدث. الانقسامات والفجوات الجغرافيّة والثقافيّة تضاعفت بين المدن والقرى والمخيمات؛ نملك اليوم نظامين للتعليم الرسمي بدل نظام واحد، وسلطتين منفصلتين تماماً. العديد من الفلسطينيين لم ولن يروا البحر أو حتى القدس عاصمة وطنهم، الكثيرون لا يستطيعون السفر إلى الخارج، والملايين لا يتمكنون من زيارة وطنهم الأم. في قطاع غزة يعيش مليوناً مواطن تحت حصار إسرائيليّ خانق، يتركهم في ظروف معيشية من العصور الوسطى، مع ندرة المياه النظيفة، وخدمة متقطعة للكهرباء. ناهيك عن الأحداث المأساوية التي وقعت منذ العام 2011 ودمّرت حياة الملايين في سوريا وليبيا واليمن والعراق وأجبرتهم على ترك ديارهم - وتداعيات ذلك على القضية الفلسطينية التي أصبحت مهقّشة وتحوّلت من قضية مركزية في وجدان الوطن العربي إلى موضوع ثانوي. وهكذا، فإن النسيج الحساس الذي كنا نعايشه أواخر التسعينيات، تهتّك الآن تماماً.

يبقى السؤال الذي يجب طرحه الآن هو: هل نجحنا؟ وكيف يمكن قياس النجاح عندما يتعلّق الأمر بعمل المؤسسات غير الحكومية، كما هو الحال في مؤسساتنا العاملة في بلد محتلّ؟

في السنوات الأولى من الانتفاضة الثانية، لاسيما في العامين 2002 و2003، دقّرت إسرائيل مؤسسات السلطة الفلسطينية، أو أسكّنتها، فأصبح وجود مؤسسة وطنية مستقلة يوقّر شرياًناً حيوياً للحياة ومرمّزاً للتحدي والصمود الوطني؛ سواء أكان ذلك للفلسطينيين أم لمناصريهم. وعلى الرّغم من التحول الكارثي للأحداث في فلسطين والمنطقة منذ ذلك الحين، فإنّ الإنجازات التي حقّقها زملائي في المؤسسة كانت هائلة. برنامج البحث

والتطوير التربوي، مثلاً، ينظم تبادلات مدرسية دولية ومحلية منتظمة، ويفتح مدرسة صيفية سنويّة متخصصة في استخدام الدراما في التعليم. كما يُصدر واحدة من المجلات التربويّة التعليميّة العربيّة الأكثر تميّزاً، وينظّم برامج تدريبيّة للمعلمين والمعلمات على مدار العام في جميع أنحاء الوطن، في مجالات متنوعة وحديثة مثل الرسوم المتحركة ثنائية الأبعاد، والتعلم القائم على المشروع، والتعلم القائم على البحث، والتاريخ الشفهي، والوعي البيئي، وتدريس التاريخ، وإدارة الفصول الصفيّة، والتعليم في مرحلة الطفولة المبكرة، على سبيل المثال لا الحصر. ومنذ العام 2011، طوّر البرنامج مشروعاً طموحاً لتدريس العلوم تُوّج، مؤخراً، في افتتاح استوديو متخصص بفنون العلوم، بهدف تصميم معروضات علمية تفاعلية.

في مدينة غزة، يُعتبر مركز الطفل ملداً حقيقياً، وسط الدمار الاجتماعي والبيئي والتعليمي هناك. يضم المركز مكتبة ومسرحاً ومختبراً لتكنولوجيا المعلومات، ومختبراً للعلوم، ومجموعة متنوعة من النوادي والأنشطة التي يستخدمها آلاف الأطفال كل عام. كما أن للمركز برامجٍ تمتدّ على نطاق أوسع، ليصل بها إلى جميع أنحاء القطاع، بما في ذلك المكتبة المتنقلة، التي تدعم عشرات المكتبات المدرسية والعاملين فيها.

وأخيراً وليس آخراً، لم يكن الفنانون والكتاب والمؤدّون الفلسطينيون ليحظوا بتلك النجاحات المحلية والدولية والتدريب والترويج الذي حصلوا عليه في العقد الأخير لولا برنامج الثقافة والفنون. كذلك البرامج التي تقدمها قاعات الموزاييك التي تأسست في العام 2008 في لندن، وأصبحت واحدة من أهم مراكز الثقافة العربية المعاصرة الرائدة في الغرب. ولا يمكن أن ننسى برنامجنا الصغير نسبياً، ولكن الفعال في لبنان، الذي يدعم المشاريع

الثقافية هناك، ويربط، منذ العام 2011، الفنانين الفلسطينيين واللبنانيين (وحدثياً السوريين) الشباب، للعمل معاً.

واليوم نحن فخورون بالاحتفال بافتتاح المبنى الجديد في رام الله، الذي سيكون مقراً للمؤسسة وسيخدم المجتمع المحلي.

كان التزامنا الرئيسي، منذ البداية كمؤسسة وطنية، أن نعمل وفقاً للأسس الاستشارية والديمقراطية. مؤسسة عبد المحسن القطان هي من المؤسسات القليلة في المنطقة، على حد علمي، التي لا هيمنة فيها على صنع القرار، فهي تعمل في أربع مناطق جغرافيّة منفصلة (الضفة الغربية، غزة، لبنان، المملكة المتحدة). واليوم، بعد ما يقرب من 19 عاماً من العمل، نحن في طريقنا إلى أن نكون مؤسسة أهلية بشكل فعلي، تملك مجلس أمناء مستقلاً، يضمن الاستقرار والديمومة. ليصبح دور عائلة القطان في المستقبل القريب، دوراً ائتمانياً بحتاً.

ولكن ما زالت هناك العديد من الأسئلة والتحديات الملحة. هل تم "التساهل" معنا لأننا لم نشكل تهديداً لأحد، ولا حتى بالمعنى الأخلاقي أو السياسي؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل يعني هذا أننا دون أهمية فعلية، ولسنا أكثر من نخبة مهقّشة سمح لها الإسرائيليون بالعيش في جزر معزولة، من أجل الإبقاء على الصورة الوردية لمظاهر الحياة الطبيعية في فلسطين؟ هل كنا خجّة الإسرائيليين التظليليّة في الظهور بشكل مثالي أمام العالم، مجرد مؤسسة عامة ليبرالية تعكس واقع قطاع الأعمال الفلسطيني "النيوليبرالي" الذي تتسامح إسرائيل مع وجوده؟ هل نحن متواطئون في الحفاظ على الوضع القائم في فلسطين من خلال ضخ

الأموال والموارد من الخارج إلى داخل البلاد؛ ذلك الوضع الذي يُفجع بحياة الغالبية العظمى من الفلسطينيين؟

لا أستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة بشكل قطعي، لكنني أعلم أننا معرضون للخطر - كشعب، وبطبيعة الحال، كمؤسسة. إنّ عمل المظلومين والمضطهدين دائماً ما يكون ضعيفاً وهشاً، حتى لو كان يتمتع بغطاء من الثروة والاستقرار كما هو الحال مع مؤسسة عبد المحسن القطّان. ففي النهاية نشترك جميعاً في حالة معظم الفلسطينيين الحالية من انعدام الأمن والأمان. ولكنني أعلم أنه من أجل المضي قُدماً نحو مرحلة جديدة، تعكس على نحو أفضل الحاضر والمستقبل وتستجيب لمتطلباته، علينا أن نحافظ على المرونة والحيوية والتفكير الاستراتيجي، وهذا يتطلب الاستفادة القصوى مما نملكه، مع الحفاظ على التواضع، والتعامل بحكمة بما نملكه من موارد.

نحن نعلم أن قطاعاً واسعاً من المنتمين إلى الحركة الصهيونية يحلم باختفاء الفلسطينيين عن وجه الأرض. وأن هذا الحلم موجود ويتوسع، وهذا سيثملنا نحن كمؤسسة أيضاً. والحق يقال إنه بالنسبة لبعض الفلسطينيين، أيضاً، قد يبدو وجودنا أحياناً ترفاً لا مبرر له، وهناك من يذهب إلى أبعد من ذلك ربما، إلى اتهامنا بنشر ما هو بعيد عن الروح الفلسطينية والعربية المحافظة.

لكن المستقبل يحمل لنا، أيضاً، إمكانياتٍ كبيرة. ونحن، شأننا شأن شعوب المنطقة الأخرى، مجتمع فتي، وممتلئ بالأمل والطموح والريادة. الانقسام الناجم عن الحرب والتشرّد والنفي فشل في محونا، واستطعنا دائماً

التماسك من جديد كمجتمع، حتى لو اخبرتنا ذلك بفضاعة وعنف. وأنا أوّمن أن كل ما حدث حتى الآن، أحدث فينا تغييراً عميقاً، ما سيسمح ببروز نهج أكثر ديناميكية لمواجهة تحديات التحرير والتحرر. وبغضّ النظر عفا إذا كان ما أوّمن به صحيحاً أم لا، فإن القمع والحرب قد فشلا بالتأكيد في إضعاف رغبتنا في التعلم والإبداع والابتكار.

لكننا نعي أيضاً، أننا اليوم في أزمة عميقة على الصعيد الوطني والإقليمي والدولي. إذأ، هل يجب على المؤسسة تغيير مسارها والتركيز على الأمور الأكثر إلحاحاً؟ وهل ينبغي أن تقتصر مواردها على منطقة معينة، بدلاً من العمل على نطاق جغرافي واسع؟ وهل ينبغي أن يصبح عمل المؤسسة أكثر تركيزاً ومباشرة في محاولة التأثير على السياسات الوطنية، في نطاقات شأنكة مثل العدالة الاجتماعية والاقتصادية والمساواة، وفصل الدين عن الدولة، والمساواة بين الجنسين والديمقراطية وحرية التعبير؟

هذه بعض الأسئلة التي تشغل زملائي وتؤرقهم باستمرار، فضلاً عن أصدقائنا والمستفيدين من برامجنا. من المهم أن نواصل طرح هذه الأسئلة، ومناقشتها علناً، من أجل الخروج بأفكار وطولٍ جديدة. فبعد عقدين تقريباً من بداية عملنا، يجب أن نظنّ قدرتنا على مواكبة وتوقع المستقبل هدفاً أساسياً. وهذا يتطلب مؤسسة قادرة على النقد الذاتي والتجديد، وقوية بما فيه الكفاية للترحيب بالتغيير واستيعابه دون خوفٍ أو تردد.

المجموعة الصغيرة من الأفراد التي أطلقت هذه المؤسسة، كثرت لتصبح فريقاً هائلاً. نحن اليوم أصواتٌ وآراءٌ متعددة، تمثل قطاعات ومجتمعات

متنوعة من شعبنا المقسّم في الداخل وفي المنافي. ولم يكن لتنتج المؤسسة لولا إبداعات الزملاء العاملين فيها أينما وجدوا. لقد رحل عنا بعضهم للأسف، مثل صديقنا العزيز والمرشد الروحي للمؤسسة، الأستاذ إبراهيم أبو لغد، الذي عاد إلى فلسطين في منتصف التسعينيات لينخرط بشكل كبير في الإصلاح التربوي، والذي أطلق مسار البحث والتطوير التربوي. بينما تركنا آخرون لشغل مهام جديدة، أو بهدف التقاعد مثل البروفسور فؤاد المغربي، الذي كان له دور أساسي في وضع المعايير الفكرية والمهنية العالية لباحثينا التربويين؛ كذلك تركتنا ريم أبو جبر، المديرة المؤتسسة لمركز الطفل في غزة. لهم جميعاً، أقدم امتناني وتقديري الكبيرين. كذلك لعب الأصدقاء والمناصرون دوراً رئيسياً في تقديم الأفكار والمقترحات في المراحل الأولى من التأسيس؛ فقد أوصى الراحل إدوارد سعيد بإنشاء جوائز دولية للتميز في العلوم الإنسانية. وقدم رئيس بلدية مدينة غزة، آنذاك، الراحل عون الشوا، أرضاً تابعة لأراضي البلدية دون مقابل، لإنشاء مركز ثقافي للأطفال ومكتبة. وأوصى مخرج الأفلام ميشيل خليفي بتشجيع المبدعين الشباب من خلال الجوائز والمنح وبرامج التدريب. سنبقى دائماً ممتنين لاقتراحاتهم وأفكارهم.

مديرو البرامج والموظفون الإداريون استطاعوا قيادة المؤسسة على جميع الأصعدة، وكانوا نجوماً للنجاحات التي تم تحقيقها. أذكرهم حسب الأقدميّة: محمود أبو هشهش، الشاعر والروائي، الصبور والحكيم، والقيادي المتعقل لبرنامج الثقافة والفنون؛ وسيم الكردي، الشاعر، والمفكر، والقوة الفكرية في مسار البحث والتطوير التربوي؛ الدكتور نادر وهبة، كبير علمائنا وأستاذ العلوم الأول؛ هدى حسونة، مرساة المحافظة بين المعلمين والمعلمات على الوقت والموازنات؛ عزمي شتّارة، أمين مكتبتنا الهادئ؛ الصبور؛ عامر حسن، مفكك العقد الرقمية والتحديات التكنولوجية؛ مالك

ربماوي، العاطفي البارع، وأكثر المعلمين تهدياً على الإطلاق؛ نسرين نفاع، عبقرية اللوجستيات دون منافس وصديقة الفنانين الصدوقة؛ ممدوح أبو حصيرة، الهدوء، والتعقل والثبات في البحر الإداري المتلاطم في غزة؛ عبد الرحمن أبو شقالة، سيوبه المؤسسة اللطيف وحارس لغتنا العربية الأمين؛ بشار ادكيدك، المدير المالي الصارم (وصاحب النكتة)؛ نهاية خروب، المديرة الإدارية التي تبسّم حتى في أكثر التحديات اللوجستية صعوبة؛ راشيل جارفيس، المديرة الخلّاقة والمبدعة لقاعات الموزاييك التي لا حدود لابتكاراتها وإبداعاتها، والتي استطاعت أن ترتفع بالمكان إلى مستوى آخر؛ نهاية أبو نحلة، مثال الثبات والاحترافية الإيجابية، في إدارة مركز الطفل في غزة، عبر حربيين مدقرتين حلّت على القطاع؛ يزيد عناني، الذي انضم مؤخراً إلى المعركة مديراً للبرنامج العام، والذي لا يزال قادراً على الثبات رغم العواصف الديناميكية التي تعصف بالمكان أحياناً. وأخيراً وليس آخراً، نائبة المدير العام الجديدة، فداء توما، التي استطاعت منذ صيف 2017 أن تحتاز العديد من العواصف الداخلية بيد ثابتة وثقة وهدوء قبطان المستقبل الشجاع. أتقدم بعميق الامتنان لهم ولبقية فريقنا الجميل، فهم أصحاب الفضل، لكل الإنجازات التي حدثت على مدار السنوات العشرين الماضية.

ومن أجل جمع كل هؤلاء اللامعين العنيدين (والميالين إلى الاختلاف والتساؤل الدائم)، كنا بحاجة لقيادي موهوب ومتفان، يمكن الجميع من العمل بكفاءة؛ ويتركهم ينجزون أعمالهم كما يجب، ويحافظ على سمعة المؤسسة الإدارية والعامّة، قيادي قادر على إظهار صبر شديد في التعامل مع رئيس مجلس أمناء مزاجي أحياناً، وسريع الحكم أحياناً أخرى، وأن يفعل ذلك بقدرٍ عالٍ من الذوق واللاطف والتواضع. طبعاً أنا أتحدث عن المدير العام المؤسس للمؤسسة زياد خلف، الذي أتقدم منه بامتنان خاص،

افتتاح هذا المركز الثقافي الجديد الذي انتظره طويلاً، وأشار إليه في العديد من المناسبات على أنه إرثه الأكبر، بقدر ما يؤلمنا هذا، إلا أن ذكرى روحه الحماسية، وإيمانه العميق بقدرة شعبه المظلوم على الصمود والتحدى، ستصاحبنا إلى الأبد، موجّهة وناصحة في السنوات الصعبة القادمة.

لقيادته الاستثنائية طوال هذه السنوات، وصداقته الوفية الخالصة.

أخيراً، أود التعبير عن امتناني العميق لمجلس أمنائنا الموقر على كل الدعم والحكمة والتشجيع الذي يقدمه باستمرار لي ولل فريق الإداري منذ سنوات؛ شقيقتي الدكتورة نجوى القطان، والسيدة نادية حجاب، والسيدة عبلة معاينة، والدكتور خليل الهندي، والدكتور رائف زريق. على أمل أن نواصل العمل معاً من أجل المزيد من الحريات والتألق والنجاح! ليس هناك شك في أن حب والدتي للأدب والفن والموسيقى، وإيمانها المنقطع النظير في قدرة الثقافة على تحسين الفرد، كان له عميق الأثر على توجهات المؤسسة، كما كان تأثيره في العديد من المشاريع الخيرية الأخرى لوالديّ. وقد انعكس ذلك في استثمار المؤسسة طويل المدى في التنمية الثقافية بجميع أشكالها، ودعمها المستمر لعشرات المبدعين في العديد من المجالات. لكن ذوق والدتي الرائع، ونفورها من الابدال والعادية، يبدو كطيف يخلق فوق كل ما نفعله، ويشجعنا دائماً على السعي وراء الجمال والكمال.

وأخيراً، فإن إرادة أبي في التصدي لظروف حياته المتناقضة، والصراعات المتوالية، بعقلانية وشجاعة، وأن يفعل ذلك بكرمه الطائي، سيبقى أهم الموروثات الباقية لنا. تصميمه على الاستمرار مهما كان حجم النكسات التي تواجهه، والدفاع عن فلسطين بالأظافر، حسب قوله، وبكل الوسائل المتاحة له، سيبقى قدوة نحتذي بها جميعاً. حتى في الأسابيع الأخيرة من حياته، حين كان في عامه التسعين، كان يخطط للمستقبل بتفاؤل وشجاعة تفوق بمسافات من يصغرونه سنًا. لم يتمكن أي تحدٍ، مهما كان وزنه أو تعقيداته، من إنباط عزيمته. ورغم أنه رحل في نهاية العام 2017 ولم يشهد

عمر القطان  
رئيس مجلس الأمناء



Leila Miqdadi and Abdel Mohsin Al Qattan at the foundation, 2011  
ليلى المقداوي وعبد المحسن القطان في زيارة للمؤسسة ٢٠١١



A.M Qattan Foundation 2018  
مؤسسة عبد المحسن قطان - تصوير عهد ازخيمان ٢٠١٨

I 2018

# How It All Began

A History of Foundation at 20





***In admiring gratitude to, and loving memory of,  
Abdel Mohsin Al-Qattan (1929--2017)  
and Leila Miqdadi Al-Qattan (1934--2015)***

The A.M. Qattan Foundation at 20—Challenges and Opportunities

There is a paradox at the heart of the A.M. Qattan Foundation: a desire to work progressively while needing to compromise and moderate its position because it functions in a politically repressive and socially conservative environment. It is thus by nature contrarian, by necessity pragmatic, in a way that perhaps reflects both the character of its founder, my father Abdel Mohsin Al-Qattan, and his experience of exile and dispossession. Coming of age in the heyday of the anti-colonial and anti-Zionist struggle and imbued with the idealism of the social revolutions that engulfed the Arab world following independence, his impecunious family circumstances following the Nakba forced him to drop his political science studies in favour of a business degree. He was then obliged to seek employment in Kuwait, his adoptive country, where he became a successful businessman but remained deeply committed to his people's struggle to preserve their culture and identity to fight for the liberation of their homeland. This demanded principled courage and determination but also compromise. How he came to identify and often skilfully marry these contradictions—progressive thinking vs conservative pragmatism, the fight for emancipation vs the love of tradition, the logic of political and social engagement vs that of business, hope vs despair—would characterise his life trajectory.

Following the First Gulf War, he came to reflect on one such intractable paradox that harried him throughout the last three decades of his life: "I do not understand," he exclaimed one day in the early 1990s, "how the Arab World, with its rich history and culture, natural resources, relatively well-educated people and location at the centre of the world, could mess everything up so badly! I think it must be in need of a profound cultural change, a revolution in values and ethics." This simple, self-critical expression of frustration and anger was at the root of the venture that became the A.M. Qattan Foundation, my father's proudest achievement.

He had always spoken with great admiration about the pioneering philanthropists, in particular John Harvard, the English minister who had endowed the (now world famous) university which took his name without ever setting foot in the United States. Now, the moment seemed propitious for my father to launch a similar enterprise in his native, but occupied, country. He was in his mid-sixties and, with a hugely successful business career behind him, was able to commit significant personal resources to a new, philanthropic venture to try and tackle this cultural and moral 'crisis'. The lifting of some Israeli travel restrictions following the



Leila Miqdadi and Abdel Mohsin Al Qattan at the beginning of their marriage, circa 1954  
ليلي المقدادي وعبد المحسن القطان في بداية حياتهما الزوجية بحدود العام ١٩٥٤

signing of the Oslo Peace Accords in 1994 allowed him to go home and do exactly that.

But what would this venture entail and how would it achieve something new and different? After all, since circumstances had afforded him the means to do so, he had, with my mother Leila Miqdadi's enthusiastic encouragement, for many years supported dozens of students, writers, artists and institutions, including the Institute for Palestine Studies and the Welfare Association (now renamed Taawon), both of which he had co-founded. The answer: for our family to establish a long-lasting legacy by creating an independent, endowed and financially secure institution that could move beyond sporadic grant-making to operate directly in Palestine itself (and later Lebanon and the United Kingdom) without political and financial interference. He was also determined to set an example of institutional self-sufficiency, particularly in the post-Oslo atmosphere of massive international aid pouring into the Palestinian Territories and creating a culture of dependency.

In the first couple of years of the A.M. Qattan Foundation's existence, we were a small cluster of colleagues with diverse ideas. However, we understood that it was imperative to reach out to others with more expertise in order to develop what were essentially intuitive desires to support projects in education and culture. These are two vast fields that encompass many different disciplines and possibilities, but which seemed to us, at the time, the principal candidates for reform if that change in ethics and

values argued for by my father were to become a reality.

Whatever we were going to do, expectations needed to be managed. The aim of the Foundation was not to replace any official body nor act like a governmental department. We therefore wished to keep expectations low so as never to disappoint our public or beneficiaries. But this did not diminish the enthusiasm of those around us. There is something inherently infectious about good ideas that makes them irresistible. This may be particularly true of collective enterprises that work for the public good, not least those that involve culture and learning.

It is now commonplace in the Palestinian collective narrative that the first generation of Palestinian exiles was obsessed with education. In the aftermath of the Nakba, when over 750,000 Palestinians were expelled from their homeland, an education was a fighting chance against exile and a ticket out of the refugee camps. Both my parents belonged to this first generation of exiles and both started their working lives as teachers. In the early 1950s, my maternal grandfather, Darwish Miqdadi, himself a Palestinian refugee, was recruiting teachers for the burgeoning education system in Kuwait. Darwish thought so highly of my father that he introduced him to his daughter, Leila, who was soon to become a teacher herself. And thus my parents actually came to meet because they were both teachers. Education, then, was to shape their destiny and was more than a professional or practical preoccupation: it was in many senses the *raison d'être* of their marriage.

Palestine stood at the centre of their lives. But by the 1990s and into their third forced exile (first from Palestine, then Lebanon, then Kuwait, even if the latter was thankfully brief), they, like many people of their generation, felt defeated and horrified at the terrible destiny that the Arab World had fashioned for itself (much worse was to come, sadly). My father had presided over the Palestine National Council for two years in the late 1960s but had resigned from the presidency because of the refusal of the separate factions to create a unified military and financial command of the PLO. Later, in 1991, he resigned altogether from the council in protest over the PLO's support of Saddam Hussein's catastrophic invasion of Kuwait. So, to say the least, he was frustrated and disillusioned by politics. How then to contribute meaningfully to the struggle for Palestinian rights outside the realm of politics? A long-term commitment to education and culture seemed to offer the most viable and promising path.

However, the political, cultural and social situation of Palestine in 1998 was extremely fragile. A weakened education system; a semi-literate generation; a violent ideological split between two separate visions of Palestine; a generation tired of years of insecurity and violent confrontation with a ruthless army of occupation; and, perhaps most challengingly, a political landscape that contained a cynical 'authority' and a well-organised political opposition with a reactionary and conservative outlook. As a single family with limited resources and no political base or mandate, the context

was thus particularly challenging. How could we even begin to address its complexities in any meaningful way?

Yet the struggle for Palestine meant and continues to mean so much more than politics. Echoing my father's foundational question about the Arab World's inability to create a prosperous and liberated society in spite of having so much to its advantage, we were to start from scratch. It was as if all that already existed needed to be critically re-examined in preparation for a new destination. That is why we were preoccupied from the start with trying to shape and influence a new generation, beginning with children and young people. Yet beneath this seemingly uncomplicated field of intervention lay a reality that was far from simple: the legacy of the brutally suppressed first intifada (or uprising, 1987–93). Many children had been shot, injured or imprisoned (as they continue to be) by the Israeli army while being elevated to the ranks of political heroes ("the children of the stones") by their own people, a combination of trauma and false euphoria that could only have been deeply disturbing for the children. In addition, an entire generation of students had been victims of sporadic schooling— in Lebanon because of its civil war (1975—91), but also in the Occupied Territories due to the frequent closure of schools enforced by the Israeli army during the first intifada. By the mid-1990s, the much-vaunted myth of the highly-educated Palestinians, so pervasive in the 1960s, 70s and 80s, had lost much of its credibility.

We also aimed to be a national institution that served all Palestinians wherever they happened to be, recognising the importance of the diaspora and the shared heritage of Palestine and the Arab World, and the mutually enriching effect of cultural exchange between Palestinians and other cultures and peoples. At the same time, we wanted to be innovative, critical, politically 'neutral' but intellectually progressive, not an easy task under most ordinary circumstances.

Our ambitions grew, sometimes at a heady pace. We recognised that the culture and education sectors had long afforded Palestine some of its best ambassadors, many of whom were pioneers in their fields in the Arab world and beyond. We thus needed to create tools to enable communication among generations of displaced Palestinians and help to deepen their sense of belonging and to bring them together from within the country and the diaspora to reflect upon, learn from and celebrate what they shared. Most of all, culture and education offered us potential tools of emancipation for the individual, for women and children, and for society as a whole. This could only be achieved through progressive approaches to learning and pedagogy.

But there were other, deeper challenges to deal with. In the 1980s and early 90s, it had become difficult to ignore the rise in Islamist influence on the Arab World. In Palestine, the Muslim Brotherhood had begun as a fringe, quietist movement with little

appetite for confrontation with the Israeli occupying forces. During the first intifada, however, a more rebellious and assertive second generation of Islamists emerged who very soon came to dominate the lives, culture and politics of large swathes of society and to fill the yawning gaps left by a discredited secular-nationalist movement. How was a new institution that was instinctively secular, liberal and non-confessional to face a society moving in the opposite ideological direction? Oslo had at first appeared to offer a temporary respite from the looming conflict of ideology that soon ravaged Palestine. But that conflict has not since been resolved. On the contrary, as the continuing divide between Hamas and Fatah shows, and as the bloody civil wars in the region have also highlighted, those two essentially contradictory visions have yet to find a framework in which to cohabit, or the appropriate political and social contract capable of morphing into a novel and truly inclusive civic project.

It may have been naïve, perhaps even presumptuous, to believe that we could tackle these issues in anything other than a perfunctory manner, but the wonderful enthusiasm and encouragement of friends, colleagues and the general public gave us the confidence to move forward regardless of these underlying conflicts. Our willingness to commit our own financial resources in order to maintain total independence (the Foundation was entirely funded by my family in its first 10 years of operations); to accept foreign donations only if they were unconditional and necessary

for the expansion of the reach of our work, when many other local institutions had compromised theirs; our focus on children, teachers and young artists; and our nurturing of long neglected talent—all these factors inspired confidence and trust.

Yet no sooner had we begun working than new challenges emerged: the second uprising broke out in the late summer of 2000, followed by years (2000–3) of violence, geographical fragmentation, economic de-development (to borrow Sara Roy's phrase) and collective humiliation imposed by the Israeli occupation and compounded by our own political and social failures. In the 18 years since, many young Palestinians have become cynical and disenchanted; geographical and social rifts between towns, villages and refugee camps have grown wider; we now have two national education systems instead of one; and two entirely separate polities. There are many Palestinians who will never see the sea nor their capital city, Jerusalem. Many cannot travel abroad; millions of others cannot visit their homeland. And in the Gaza Strip, two million citizens live under a mediaeval Israeli siege with only sporadic access to electricity and clean water. This is not to mention the dramatic events since 2011 that have destroyed the lives of millions in Syria, Libya, Yemen and Iraq and forced them to leave their homes—and have to a degree marginalised the Palestinian question, which for many years had been the region's most pressing and central cause. Thus, the delicate fabric that we came upon in the late 1990s now lies in tatters.

Has it all nonetheless been a successful enterprise? And how does one measure success when it comes to non-governmental institutions such as ours, operating in occupied countries? In the first years of the second uprising, as the working conditions in the Occupied Territories became increasingly intractable, the presence of an independent national public institution seemed to provide a vital lifeline of hope, a symbol of defiance for Palestinians and their friends, as the Palestinian Authority's own institutions were crushed or silenced by Israel in 2002 and 2003. And in spite of the catastrophic turn of events in Palestine and the region since then, my colleagues' achievements have been tremendous. The Educational Research and Development Programme organises regular international and local teacher exchanges and a superb annual summer school on the dramatic arts in education. It publishes one of the leading educational magazines in Arabic, runs year-round training programmes for teachers across the country in fields as diverse as 2D animation, project-based learning, inquiry-based learning, oral history, environmental awareness, the teaching of history, classroom management and early childhood education, to mention but a few. Since 2011, it has developed an ambitious science education programme which culminated recently in the opening of a state-of-the-art science studio dedicated to designing and manufacturing interactive exhibition materials.

In Gaza City, the Centre for the Child is a true haven in the midst of social, environmental and educational devastation, with a

library, theatre, IT laboratory, science lab and a variety of clubs and activities used by thousands of children every year. It also has an extensive outreach programme that operates across the whole of the Gaza Strip, including a mobile library, and supports scores of school libraries and their staff.

Last but certainly not least, the Foundation's extraordinarily dynamic Culture and Arts programme has contributed to its local and international success as it trains and promotes Palestine's artists, writers and performers, as has the establishment in 2008 of the Mosaic Rooms in London, undoubtedly one of the leading centres of contemporary Arab culture in the West. A small but effective programme of investment in cultural projects in Lebanon, aimed at bringing young Palestinian and Lebanese (and recently Syrian) artists to work together, has also been in place since 2011. And now we are proud to celebrate the opening of our breathtaking new building in Ramallah, with its many spaces designed to serve the local community and the Foundation's needs as a whole.

Underpinning all this is our core commitment to act as an institution that functions along consultative and democratic lines. The AM Qattan Foundation is an inclusive institution with a decentralised decision-making processes, working in four separate geographic areas (the West Bank, Gaza, Lebanon and the United Kingdom). Today, almost 19 years later, we are finally on the way to becoming a truly public institution with an autonomous governance structure

and an independent endowment to guarantee stability and sustainability. The Al-Qattan family's main role will soon become a fiduciary one.

But challenging questions persist: have we been 'tolerated' because we were a threat to no one, not even in the ethical and political sense? And if so, did this mean that we were irrelevant, a marginalised elite allowed to perpetuate itself by the Israelis in isolated islands, in order to keep up appearances of normality? Were we the Israelis' perfect diversionary alibi, a liberal public institution that mirrors the neoliberal Palestinian private business sector whose existence Israel only just tolerates? By pumping money and resources into the country, are we complicit in maintaining the status quo that is so devastating to the majority of Palestinians living under Israeli occupation?

I cannot answer those questions definitively, but I do know that we are vulnerable—as a people and of course as an institution. The work of the oppressed and dominated is always vulnerable.

Even if the A.M. Qattan Foundation appears to have the strength of resources and stability, it shares the Palestinians' current state of defencelessness. To move forward to a new and more innovative phase that better responds to the present and future, we must thus remain flexible, nimble and strategic. And this requires the maximum use of our assets while keeping our vulnerability—and

our modest origins—constantly in mind. For it is unquestionable that there is an ever-pervasive Israeli fantasy that would rather the Palestinians disappear altogether. Indeed, even for some of our own co-citizens, we may sometimes seem a redundant and unjustifiable luxury, perhaps a decadent beacon of an alien culture, too avant-garde and unsuited for conservative Palestinian and Arab soil.

But the future also holds much potential. Like many peoples in the region, we remain a young society, full of hope, ambition and drive. The fragmentation caused by war, displacement and exile has failed to erase our coherence as a society, even if it has sorely and violently tested it. I believe it has also changed us profoundly in ways that make space for more dynamic approaches to the challenges of liberation and emancipation. Whether that change turns out to be real or not, oppression and war have certainly failed to dampen our desire to learn, create and innovate. But there is no doubt that we face a moment of profound crisis: nationally, regionally and internationally.

Should the Foundation therefore change course and focus on more urgent matters? Should it limit its resources to one, specific area instead of working across a wide spectrum? Should it become more aggressive and more direct in its work on policy areas such as social and economic justice and equality, the separation of state and religion, gender equality, democracy and freedom of expression?

These are some of the questions that preoccupy our staff and trustees, as well as our friends and beneficiaries, on an on-going basis. It is vital that we continue to debate them openly and come up with new ideas and new solutions. Almost two decades after our inception, the ability to evolve and anticipate the future must remain a core objective. And this requires an institution capable of self-criticism and renewal, and strong enough to welcome—and absorb—change without fear or trepidation.

The small cluster of individuals who launched this enterprise has grown into a formidable team. We are now many voices and opinions, representing diverse sectors and communities in our divided country and in exile. And none of it would have worked had it not been for the brilliant input of colleagues. Some have sadly passed away, like our dear friend and mentor, the late Professor Ibrahim Abu Lughod, who launched the Educational Research and Development track. Others have left us to take up other duties or to retire, such as Professor Fouad Moghrabi, who was instrumental in setting the high intellectual and professional standards of our researchers, and Reem Abu Jabr, the inspirational founding director of the Centre for the Child in Gaza. To them all, great admiration and appreciation.

Other friends and supporters played a key part in guiding us with their ideas and suggestions in the early stages of inception: the late Edward Said recommended the creation of international

prizes for excellence in the humanities; Ibrahim Abu Lughod, my father's fellow Jaffite exile who returned to Palestine in the mid-1990s where he became deeply involved in educational reform, argued for an independent institution dedicated to research and development in education; The then mayor of Gaza City, the late Aown Shawwa, offered us free municipal land in return for the creation of a children's cultural centre and library; The filmmaker Michel Khleifi recommended we encourage young artists through prizes, awards and training programmes. To them we will always remain deeply grateful.

The programme directors and managers have led the Foundation on every level and have been the stars of its success. I list them here in order of seniority: Mahmoud Abu Hashhash, poet, novelist and patient, wise and judicious leader of the Culture and Arts Programme; Wasim Kurdi, poet, thinker and intellectual powerhouse of the Education Research and Development Track; Dr. Nader Wahbeh, our chief scientist and science educator; Huda Hassouneh, the anchor of efficiency keeping teachers and pedagogues on time and on budget; Azmi Shunnara, serene and patient librarian; Amer Hassan, quiet solver of our complex IT riddles; Malek Rimawi, passionate, witty and ever courteous educator; Nisreen Naffaa, logistics genius extraordinaire and devoted friend to artists; Mamdouh Abu Hassira, calm, perceptive and a steady pair of hands in Gaza's choppy administrative seas; Bashar Idkeidik, unfailingly rigorous (and humorous) director of

finance; Nihaya Kharroub, director of administration who never fails to smile even in the face of the most trying of logistical challenges; Rachael Jarvis, endlessly resourceful and creative director of the Mosaic Rooms who took the space to new heights; Nehaia Abu Nahleh, who has been an exemplar of positive fortitude and professionalism at the helm of the Centre for the Child in Gaza through two vicious Israeli wars; Yazid Anani, who recently joined the fray as Director of the Public Programme and remains unfazed by the occasionally stormy internal dynamics; and last but not least, Fida Touma, Deputy Director General since the summer of 2017, has already weathered many internal storms with the steady hand and calm demeanour of a brave future captain. To them and to all the rest of our beautiful team goes the credit for these twenty years of achievement and my profound gratitude.

However, it took one exceptionally talented and dedicated leader to bring all these brilliant but often stubborn and disputatious individuals to work efficiently together; to keep everyone focussed on the tasks at hand; to maintain the Foundation's flawless financial administration and public reputation; to show extreme patience in his dealings with a sometimes moody, terribly forgetful and occasionally judgemental chair; and to do so with the utmost flair, kindness and humility. That individual is our founding Director General, Ziad Khalaf, to whom I extend special thanks and gratitude in recognition of his extraordinary leadership and his unflinching friendship.



Leila Miqdadi and Abdel Mohsin Al Qattan at the foundation, 2011  
ليلى المقدادي وعبد المحسن القطان في زيارة للمؤسسة ٢٠١١

I would also like to express my gratitude to our eminent Trustees, who over the years have given me and the executive team their tireless and patient support—my sister Professor Najwa Al-Qattan, Nadia Hijab, Abla Maayah and Professors Khalil Hindi and Raef Zreik—hoping that we will continue working for a freer and happier future, without fear or hesitation!

There is no question that my mother's love of books, art and music and her absolute faith in the elevating power of culture had a profound influence on the direction of the Foundation, as it had on many of my parents' other philanthropic projects. This is reflected in the Foundation's long-term investment in cultural development in all its forms and its continuing support for tens of artists across many disciplines. But it is my mother's exquisite taste and her aversion for the vulgar and ordinary which constantly and lovingly seems to hover over everything we do, like a constant, gentle exhortation to aspire to beauty and perfection.

Finally, my father's will to rationally and courageously address the impossibly paradoxical and conflicted situations which I have attempted to describe and to do so with legendary generosity, remains one of his most enduring legacies. His adamant determination to carry on whatever the setbacks and, to use his own phrase, defend Palestine by the skin of his teeth with all the means at his disposal, remains an example for us all. Until his last weeks, he was planning the years ahead with the hopeful

optimism and fearlessness of a much younger man. No challenge, however weighty and complicated, ever seemed to unnerve him. In the end though, his passing in late 2017 means that he will not witness the long-awaited inauguration of the new cultural centre in Ramallah, which he often referred to as his greatest legacy. Painful as this is, the memory of his undaunted spirit and his deep faith in the resilience of his benighted people will always remain with us, guiding us through the challenging years ahead.

Omar Al-Qattan  
Chair, Board of Trustees